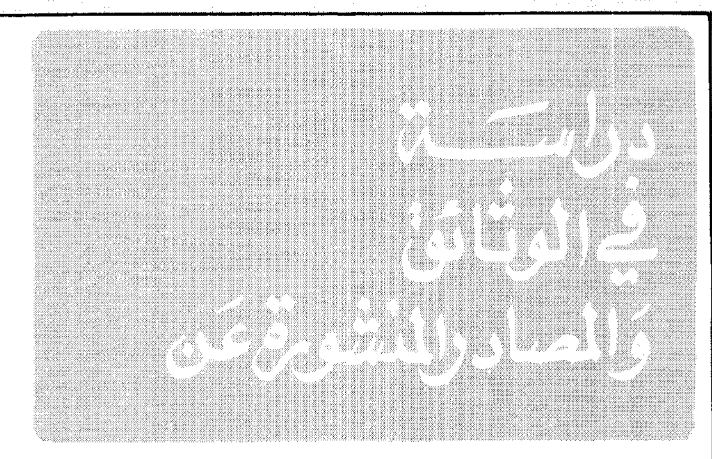


الغزو والسيطرة البرتغالية

لقد انكشف جزء غير يسير فى تاريخ الخليج العربى فى مطلع العصور الحديثة، وبالذات الفترة التى اعقبت الغزو البريطانى للمياه العربية، بيد ان جزءا اخر غير قليل ما يزال غامضا ويحتاج الى تسليط الضوء عليه. ومن المعروف ان عددا كبيرا من الباحثين اعتمد الى حد ما فى دراسة تاريخ هذه المنطقة على المؤلفات الاجنبية اكثر من اعتمادهم على المؤلفات العربية المحلية التى اما إنها كانت قليلة او انها وقفت صامتة أمام احداث هذا الغزو - كالمصادر العمانية مثلا. وعلى اية حال، فان استقصاء هذه المؤلفات، اجنبية كانت ام عربية، سيعين الباحث على دراسة تاريخ الخليج العربى بصورة افضل، وهو ما سنقوم به فى هذه الدراسة ، التى تهدف اساسا الى التعريف بالمصادر التى لها علاقة وثقى باحداث الغزو البرتغالى فى المنطقة ودراستها.



في الخليج العربي

الدكتور طارق نافع الحمداني

وقد قسمت هذه الدراسة الى عدة اقسام، يشمل القسم الأول منها حصر الوثائق المنشورة ـ وبالذات البرتغالية والعثمانية والانكليزية، وقد سهل مهمتنا فى هذا المجال اقدام كثير من مراكز الدراسات فى اقطار الخليج العربى على نشر مثل هذه الوثائق. تتطرق بعدها الدراسة الى التعريف بالمصادر الاجنبية والعربية المعاصرة والقريبة من احداث الغزو البرتغالى للخليج. من خلال اعطاء صورة عامة عن هذه المصادر، ثم اولت الدراسة اهتماما مماثلا بالمراجع والبحوث ذات الصلة بالموضوع، اجنبية كانت ام عربية.

الوثائق البرتغالية المنشورة

١ ـ تاريخ الخليج العربى فى الوثائق البرتغالية، فصول مترجمة من كتاب جـوادى بـاروس (عن اسيـا)، اصدرته لجنة وثائق الخليج العربى.

ويتحدث هذا الكتاب عن وصول البرتغاليين الى الخليج، وتعرضهم للموانىء الواقعة على شاطئيه، كما يتطرق الى وصول العثمانيين الى المنطقة وحملاتهم البحرية اليه فى منتصف القرن السادس عشر. بيد انه من الملاحظ ان الكتاب فيه روح تعصبية ظاهرة، اذ يجد فيه القارىء تبـريرا واضحـا لكل مـا ارتكبه البرتغاليون من اعمال وتخريب وتدمير فى موانىء الخليج بعد وصولهم اليه.

ولذلك فمن الضرورى ان نتذكر عند قراءتنا لهذا الكتاب ـ كما يقول بكنجهام ـ الاسباب التى دفعت مؤلفه للكتابة والافكار والافتراضات التى طرحها فى عمله.[1] ومع ذلك فالكتاب له فائدة كبيرة جدا فى دراسة تاريخ المنطقة واستقصاء كثير من المعلومات عنها، خاصة وانه ليست هناك روايات عربية معاصرة معروفة يمكن ان نعتمدها فى تدوين احداث الغزو البرتغالى للخليج ومراحله المختلفة.

٢ ـ « مساهمة الوثائق البرتغالية فى كتابة تاريخ الغزو البرتغالى لسواحل المغـرب والبحر الاحمـر والخليج العربى وما تولد عنه من ردود فعل ».

قام الدكتور احمد بوشرب فى هذا البحث بجمع كثير من الرسائـل والمعاهدات المحفوظة فى الارشيف الوطنى البرتغالى، والمتعلقة بمراحل الغزو والسيطرة البرتغالية على الخليج العربى، وفيها معلومات عن تعسف المسئولين البرتغاليين وطغيانهم فى المنطقة وردود الفعل التى تولدت عن ذلك بين سكان البلاد. وتسمح هذه الرسائل ايضا بدراسة المخططات البرتغالية لاغلاق الخليج العربى بوجه الملاحة العربية، فضلا عن الـدوافـع المختلفـة التى حـدت بالبرتغاليين لاكتساح مناطق الوطن العربى سياسية واقتصادية ودينية.

وعلى الرغم مما تحمله هذه الوثائق من وجهات نظر موالية للبرتغاليين، فان بالمستطاع اعتمادها لسد الكثير

من الثغرات التى تركتها المصادر العربية، اذا ما استخدمت بشىء من الحيطة والحذر.

ومن الجدير بالذكر، ان الدكتور بوشرب قد نشر هذه الوثائق عدة مرات، اذ ظهرت لأول مرة فى « **مجلة المناهل** » (المغربية)، العدد السادس والعشرون، السنة العاشرة (مارس، ١٩٨٣) ص ص ٣٢ ـ ٨٣. وظهرت للمرة الثانية فى مجلة « **الخليج العربى** »، التى تصدر عن مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة، المجلد السادس عشر، العدد ١ (١٩٨٤)، ص ص ٣١ ـ ٤٦. وأخيراً قامت مجلة **الوثيقة** (البحرينية) بنشرها فى عددها العاشر، السنة الخامسة (يناير، ١٩٨٧) ص ص ١٤٤ ـ ١٨١.

٣ ـ « مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية فى كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الاول من القرن السادس عشر » نشرة الدكتور احمد بو شرب فى مجلة **الوثيقة** البحرينية العدد الرابع، السنة الثانية (يناير، ١٩٨٤) ص ص ١١٨ ـ ١٤٠.

ويتطرق هذا البحث الى اوضاع الخليج العربى فى النصف الاول من القرن السادس عشر، بخاصة البحرين والقطيف والاحساء. ولكن اهمية البحث الفعلية تكمن فى الملاحق الثلاثة التى وردت فيه: فالملحق الاول هو بعنوان « حملة برتغالية ضد البحرين من خلال رسالة لوالى هرمز ١٥٢٩ » والملحق الثانى « رسالة من الرئيس ركن الدين، وزير هرمز الاول الى الرئيس شرف، وزير هرمز المعزول حول محاولات ملك الاحساء السيطرة على البحرين والقطيف والبصرة ». والملحق الثالث « رسالة من برنالدودو سوزا الى الملك البرتغالى حول هجوم برتغالى على الخليج العربى ١٥٤٥ ».

والحقيقة ان هذه الملاحق الوثائقية تسلط بعض الاضواء على المحاولات البرتغالية الاولى للسيطرة على مناطق الخليج العربى، والاهم من ذلك احتواؤها على معلومات تتعلق بالقوى العربية المحلية الموجودة فى المنطقة ودورها فى مقاومة البرتغاليين، كما هو الحال بالنسبة لآل مغامس ـ حكام البصرة.

٤ ـ الاتراك العثمانيون والبرتغاليون فى الخليج العربى ١٥٣٤ ـ ١٥٨١ »، تأليف صالح اوزبران، ترجمة الدكتور عبدالجبار ناجى، نشر مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة (مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٩).

لا تكمن اهمية هذا الكتاب فى المعلومات القليلة التى نشرها الباحث ملخصا لاطروحة الدكتوراه المقدمة الى مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن عام ١٩٦٩، والمتعلقة بالصراع العثمانى ـ البرتغالى فى الخليج العربى، التى قد تكون اكثرها معروفة للباحثين المتخصصين بتاريخ المنطقة، ولكن فى الملاحق التى اوردها المؤلف، وهى

عبارة عن ترجمة لرسائل برتغالية مهمة، تحتاج لدراسة تفصيلية لالقاء الضوء على منطقة الخليج العربى انذاك.

فالملحق الاول هو « رسالة من دوم ما نوئيل دى ليما حاكم هرمز الى د. جواو دى كاسترو حاكم الهند، هرمز فى ٢٣ حزيران ١٥٤٧ ». وهذه الرسالة تتضمن معلومات قيمة عن تحركات البرتغاليين فى الخليج، ومراقبتهم لتحركات العثمانيين وقوتهم فى المنطقة، وبعض الجهود العثمانية الرامية الى اقامة نوع من التقارب الودى مع البرتغاليين، وذلك من خلال ايفادهم للتاجر العربى الحاج فياض ومعه رسالة الى الحاكم البرتغالى فى هرمز دى ليما، وقد اوضحت هذه الرسالة نوايا السلطات العثمانية فى استمرار حركة التجارة عبر الخليج العربى.

واما الملحق الثانى (ص ص ٧٦ ـ ٨٠)، فهو عبارة عن رسالة مكتوبة فى هرمز فى ٣٠ اكتوبر ١٥٥٢، وفيها تفصيلات عن كيفية محاصرة الاتراك العثمانيين لهذه المدينة. واما الملحق الثالث ففيه « رسالتان من دوم نورونها فى هرمز حول النشاطات التركية على طول ساحل الجزيرة العربية، وفى هاتين الرسالتين يظهر لنا بوضوح طبيعة التاريخ السياسى والاقتصادى والعسكري للمحيط الهندى والخليج العربى فى القرن السادس عشر، وطبيعة الاهتمام الشديد للبرتغاليين والعثمانيين بتلك الاجزاء التى كان يصل عن طريقها المواد والبضائع الاسيوية الى سواحل البحر المتوسط.

الوثائق التركية المنشورة

ما زالت الوثائق التركية المنشورة عن الخليج العربى. واحداث المجابهة البرتغالية ـ العثمانية فيه قليلة جدا ولا تفى بالمراد. ولعل مما له علاقة بهذا الموضوع ما نشره الدكتور احمد فؤاد متولى بعنوان « البحرية العثمانية والبرتغالية فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى على ضوء الوثائق التركية »، فى « مجلة كلية العلوم الاجتماعية » (السعودية)، ١٩٨٠. ولكن يظهر ان البحث يحمل عنوانا اكبر بكثير مما هو فى المتن، لكونه لا يحتوى على مادة غزيرة تتعلق بالخليح، وليس فيه غير وثيقتين مترجمتين الى العربية موجهتين الى سيدى على رئيس لقيادة الاسطول العثمانى، وما عدا ذلك فان البحث لا يتضمن مادة جديدة.

وهناك ايضا التقرير الذى اعده البروفسور ى. اورهنلو بالتركية وترجمه الى العربية الدكتور حسين على الداقوقي بعنوان « تقرير حول الحملة العثمانية على البحرين سنة ١٥٥٩ » ونشرته (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية »، العدد الرابع والعشرون، السنة السادسة

(تشرين أول ١٩٨٠) وهذا التقرير كتبه شخص شارك فى هذه الحملة العثمانية، وهو يلقى ضوءا على بداية الحملة وأسبابها، والجهود البرتغالية المضادة لابعاد العثمانيين عن البحرين.

وقد نشرت مجلة « الوثيقة » البحرينية ايضا فى عددها الاول، السنة الاولى (يوليو، ١٩٨٢) صحيفة ١٤٩ نص الوثيقة العثمانية الموجهة الى مراد شاه حاكم البحرين فى ٢٨ ذى الحجة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م، تعلمه بعدم رضى السلطات العثمانية بقيام مصطفى باشا حاكم الاحساء بمحاصرة البحرين دون اذن منها، فاتخذت بعض الاجراءات ضده حيث تقرر طرده وتعيين شخص آخر محله، حتى لا يتمكن البرتغاليون من الحاق ضرر بتلك الاقاليم.

وتعد اطروحة الدكتور سى. ايج. انبر المعنونة: ادارة البحرية العثمانية خلال حكم السلطان سليمان الاول ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ التى قدمها لجامعة كمبردج عام ١٩٧٠، من اكثر المصادر صلة بموضوع الصراع العثمانى ـ البرتغالى فى الخليج العربى خلال القرن السادس عشر. ذلك لأن هذه الاطروحة قد كرست اصلا لترجمة الوثائق العثمانية حول الموضوع والموجودة فى دور الوثائق العثمانية، ومن هنا تكمن اهمية هذه الاطروحة. فمثلا قام هذا الباحث بترجمة كافة الاوامر الصادرة الى الولاة العثمانيين فى البصرة، والمتعلقة باتخاذ كافة الاستعدادات ـ المالية والعسكرية ـ لمواجهة البرتغاليين فى الخليج (انظر على سبيل المثال وثيقة رقم ٧٧ ـ ٨١ فى ص ص ٩٤ ـ ٩٨).

الوثائق الانكليزية المنشورة

تعد الوثائق التى نشرها وليم فوستر William Foster فى مطلع القرن العشرين بعنوان « الوكالات الانكليزية فى الهند The English Factories In India » التى ظهرت بثلاثة عشر مجلدا وتغطى الفترة من ١٦١٨ ـ ١٦٦٩، من ابرز الوثائق الانكليزية المنشورة التى تلقى اضواء على النشاطات البرتغالية المختلفة فى الخليج خلال القرن السابع عشر، وعملية التنافس التى حصلت بين البرتغاليين من جهة والقوى الاوروبية الاخرى التى وصلت الى المنطقة من جهة اخرى. وهى فى الوقت نفسه من اهم المصادر عن تنامى المقاومة العربية العمانية، والتى تمت على يدها نهاية النفوذ البرتغالى فى الخليج فى منتصف القرن السابع عشر، وعن طريقها يمكن مقارنة النصوص الاجنبية بالنصوص العربية العمانية التى بدأت ترد باسهاب، وبدون شك فان هذه الوثائق قد افادت الباحثين كثيرا فى تخفيف الصعوبات التى يواجهونها فى مراجعة السجلات الرئيسية لشركة الهند الشرقية، وهى

بحق معين لا ينضب من المعلومات عن القرن السابع عشر.

ومما يتمم هذه المجموعة الوثائقية المهمة ما نشره كل من نويل سينس بيرى Noel Sains bury بعنوان: Calendar Of State Papers Colonial Series, East Indies China and Persia 1622— 27 (London, 1878—84). وسلدانا J. A. Saldanha بعنوان: « Selections From State Papers, Bombay, regarding The East India Company's Connection With The Gulf, With a summary Of events, 1600 — 1800 (Calcutta, 1908). اذ تعد هاتان المجموعتان فى غاية الاهمية لدراسة النشاط البرتغالى فى الخليج خلال القرن السابع عشر، من حيث علاقته بالقوى المحلية والاجنبية.

ومن المصادر الوثائقية الهامة ايضا « حوليات شركة الهند الشرقية Annals Of The Honorable East India Company 1600 — 1800 », 3 Vols (London, 1810) التى صنفها جون بروس John Bruce. وتعد هذه المجموعة ذات صلة وثيقة بتاريخ الخليج، ذلك لأنها حوت كثيرا من المعلومات عن توسع البرتغاليين وغزوهم لهذه المنطقة فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، وذلك بالاعتماد على رسائل شركة الهند الشرقية الانكليزية.

ومن ضمن الوثائق الانكليزية المنشورة المهمة « حوليات الاباء الكرملين في فارس ـ A Chronicle of Carmelites in Persia and The Papal Missions of The XVIIth and XVIIIth Centuries, 2 Vols London, 1939» تلك الوثائق التي نشرت غفلا، ولكنها تحتوى على الكثير من الموضوعات التى لها علاقة وثيقة بوضع البرتغاليين فى الخليج وانحدار نفوذهم فيه بفضل تنامى قوة عمان وازدهارها، حيث يجب عدم اغفالها من قبل اى مؤرخ يهتم بتاريخ هذه المنطقة واحداثها انذاك.

المصادر البرتغالية والمصادر الاخرى

تشكل مادة المصادر الاجنبية ـ بخاصة البرتغالية ـ العمود الفقرى لدراسة تاريخ الغزو والسيطرة البرتغالية فى الخليج العربى، وذلك لأنه فى الوقت الذى انعدمت فيه المعلومات عن احداث الغزو البرتغالى للمنطقة، بخاصة فى المصادر العمانية، فان الباحث لا يجد بديلا عن هذه المصادر، سواء ما كان منها بشكل مذكرات او رحلات او كتب اصلية مستندة على هذا وذاك.

تأتى مذكرات و« تعليقات » الفونسو دى البوكيرك، التى نشرت فى اربعة اجزاء بعنوان « The Commentaries Of Great Alfonso Dalboqerque, Translated From The Portu-

guese by Walter de Gray Birch, « London, Hakluyt Society, 1881, في مقدمة الكتب البرتغالية ذات الصلة باحداث الغزو البرتغالى. ومن الواضح ان هذه المذكرات تحمل روح المبالغة في اظهار افضال ابطالها، فهى تشيد بالانتصارات الكبيرة والاحداث الفخمة التى قام بها البرتغاليون في الشرق، وتتضمن حكايات عن حالات الحصار والمعارك وذبح « الاعداء ». ويمكن للمرء ان يعدد الكثير من الامثلة على ذلك، بيد ان موقف البوكيرك تجاه المدن العمانية الساحلية يكشف عما كان يحدث بوجه خاص اذ لم يكتف البوكيرك عند مهاجمته لبلدة خورفكان بنهبها، بل قام بنفس ما كان يقوم به في المدن العمانية الاخرى من قطع اذان السكان وانوفهم، وهو عمل يحمل روح القسوة والتعصب لدى البرتغاليين تجاه سكان المنطقة. (٢).

وعلى اية حال، فان هذه « المذكرات » لا تخلو من الفائدة الكبيرة في معلوماتها عن منطقة الخليج العربى وسكانها، اذ نجد فيها وصفا مسهبا لمعظم المدن الواقعة على الساحل.

ومن الكتب الاساسية التى الفها البرتغاليون في النصف الاول من القرن السادس عشر وفيها وصف مفصل للبلدان المطلة على المحيط الهندى والخليج العربى، فضلا عن القائها الضوء على احداث الغزو البرتغالى المبكرة، كتاب تومى بيريز ودوراتى باربوسا. فالكتاب الاول الموسوم: « سوما اورينتال « The suma Oriental Of Tome Pires An account Of The East, From The Red Sea To Japan, Written In Malacca and India in 1512 — 1515, 2 Vols (London, Hakluyt Society, 1944), لا يتضمن الا القليل من المعلومات عن الخليج العربى بل ان معلوماته عن هذا الجانب جاءت مخيبة للامال. اما كتاب باربوسا المعنون: The Book Of Durate Barbosa an Account Of The Countries bordering On The Indian Ocean and Their Inhabitants Completed about The year 1518 A. D, Translated From The Portuguese Text by Mansul. Longworth Dames, Vol. 1 (London, Hakluyt Society, 1918), فانه ذو قيمة كبيرة، ذلك لأنه يجمع بين الخبرة الشخصية الطويلة في الشرق وبين كثير من الملاحظات الدقيقة. لقد وصف باربوسا عددا كبيرا من مدن الخليج العربى، على الساحلين الشرقى والغربى، وكانت اوصافه غاية في الاهمية لانها عرفتنا باوضاع تلك المدن في الفترة المبكرة من القرن السادس عشر. الا ان المؤلف يظهر تعصبا سياسيا للبرتغاليين عندما يتحدث عن مواقفهم السياسية المتطرفة تجاه سكان المنطقة.

وهنا لا بد من الاشارة الى كتاب آخر مهم بعنوان « اسبانى في جزر الهند الشرقية البرتغالية A Spaniard

In The Portuguese Indies, Harvard University Press, Cambridge Massachusetts, 1967), لمؤلفه مارتن فرناندز فيكارو (فيفارو)، الذى نشره جيمس مكينا James Mckenna، كمبردج، ماساشوسيتس ١٩٦٧.

ويعد هذا الكتاب من المصادر المهمة عن العقدين الاولين من القرن السادس عشر، وذلك لأن معلوماته تكمل « تعليقات » البوكيرك و« كتاب باربوسا ». وفى الكتاب نجد الاشارة الى حالة الرعب التى اثارها البرتغاليون بين السكان عند دخولهم لمدن الخليج العربى ـ بخاصة المدن العمانية، فضلا عن رغبتهم الفعلية فى السيطرة عليها لما كانت عليه هذه المدن من غنى فى ثرواتها ومواردها (انظر على سبيل المثال ص ص ٨١ ـ ٨٧).

وحتى الان لم اقل شيئا عن اهم مصدر برتغالى نشر حتى الان يتعلق بالعقود الاولى من القرن السابع عشر، ذلك هو كتاب روى فريير اندرادى المعروف بـ « التعليقات »:

Commentaries Of Ruy Freyre De Andrada, edited With an introduction by C. R. Boxer (George Routledge & Sons LTD, London, 1930).

وتعود اهمية هذا الكتاب لان مؤلفه كان ممن تولوا عدة مناصب فى الاساطيل البرتغالية الى الخليج العربى عام ١٦١٩. ومن خلال وجوده هناك اتخذ مسقط مقرا لقيادته فاستعاد كلا من صحار ودبي وخورفكان وغيرها من الاماكن التى كانت تحتلها حاميات من الفرس. كما قام بعدة غارات على الساحل الغربى للخليج العربى، عرف من خلالها بحماسته ومقدرته الحربية، لكنه من الناحية الاخرى كان معروفا بالعنف والقسوة، وقد اكسبته الاعمال والفظائع التى ارتكبها فى الخليج على مدى فترة تصل الى ثلاثة عشر عاما (١٦١٩ ـ ١٦٣٢)، اكسبته شهرة دائمة وسمعة سيئة. [٣].

وعلى اية حال، فان الكتاب يعطينا معلومات مفصلة عن العمليات الحربية البرتغالية فى منطقة الخليج العربى آنذاك، وعن موقف القوى المحلية من البرتغاليين.

ومن المصادر المهمة فى تاريخ الغزو البرتغالى كتاب المؤرخ البرتغالى فاريا سوسا Fariay de Sousa المعروف بـ « اسيا البرتغالية The Portuguese Asia »، وقد ترجم جون ستيفن John Stevens هذا الكتاب الى اللغة الانكليزية ونشر فى لندن عام ١٦٩٥.

يقع الكتاب فى ثلاثة اجزاء، ويحتوى على تاريخ مفصل للنفوذ البرتغالى فى الخليج العربى والمحيط الهندى وجنوب الجزيرة العربية والبحر الاحمر. بيد ان مما يؤخذ على فاريا سوسا تعصبه الشديد للبرتغاليين وروحه الحاقده ضد المسلمين، لذلك نجده يميل الى المبالغة فى تصوير عدد القتلى من المسلمين فى

المعارك التى جرت ضد البرتغاليين، وتصوير عمليات الارهاب والوحشية اثناء غزو البرتغاليين للخليج على انها من اعمال البطولة البرتغالية، لذا يجب ان تؤخذ رواياته بحذر شديد، ومقابلتها مع الروايات الاخرى المعاصرة.

والى جانب هذه المجموعة من كتب المذكرات (او التعليقات) والكتب البرتغالية الاصيلة، تبرز كتب الرحلات البرتغالية حيث تعد رحلة بيدرو تكسيرا الى الخليج عام ١٦٠٤ من اهمها وهى بعنوان: The Travels Of Pedro Teixeira, translated and annoted by William F— Sinclair (London Hakluyt Society, 1902)، ورحلة مانويل غودينهو Manoel Godinho الموسومة بـ « Relations Of The New route Father Manuel Godinho Took From India To Portugal In The Year 1663 » التى تجد لها ملخصا بالانكليزية نشره ديفيد لى فى كتابه: Portuguese Voyages 1498 — 1663 (London, 1947), PP. XX — XX1, 333 — 360.

والرحلتان لهما فائدة كبيرة عن الخليج العربى ذلك لأنهما تشيران الى عوامل ضعف النفوذ البرتغالى فى المنطقة، وتحذران من وصول القوى الاوروبية الاخرى، واعتزامها انهاء الوجود البرتغالى فى الشرق.

ويهمنا فى هذا المكان ان نشير بوجه خاص، الى رحلة الايطالى بترو ديلافال Pietro Della Valle، المعروف بـ « The Travels Of A Noble Roman to East Indies and Arabian Desert (London, 1665).

وترجع اهمية هذه الرحلة لانها ألفت فى نفس الفترة التى ألفت فيها مذكرات القائد البرتغالى روى فريير اندرادى، ولهذا فان بالامكان استخدامها وسيلة للتحقيق فى المعلومات التى ذكرها اندرادى، تلك المعلومات التى تطغى عليها صفة المبالغة عن انتصارات البرتغاليين واعمالهم الوحشية تجاه سكان الخليج العربى.

المصادر التركية والمصادر العربية.

لم يكن القادة البحريون البرتغاليون هم الوحيدون الذين تركوا مذكرات عن اعمالهم الحربية - البحرية فى الخليج العربى كما هو الحال فى مذكرات البوكيرك واندرادى، ولكننا نجد مثل هذه المذكرات لدى بعض القادة البحريين العثمانيين امثال سيدى على ريس، الذى عهدت اليه قيادة الاسطول العثمانى عام ٩٦٠/ ١٥٥٣، وكان عليه ان يقوم بتخليص السفن العثمانية الراسية فى البصرة وايصالها الى مصر، وقد قبل سيدى علي هذه المهمة فتوجه الى البصرة عن طريق حلب وبغداد فوصلها فى اليوم الاخير من صفر

٩٦١/ الثالث من شباط عام ١٥٥٤، وشرع باصلاح السفن العثمانية للعودة الى مصر، ولكن فى طريق العودة التقى بالاساطيل البرتغالية فى الخليج العربى ودارت بينهما عمليات بحرية متعددة، وكانت النتيجة ان لاقى الاسطول العثمانى الهزيمة على يد البرتغاليين واندفعت السفن العثمانية المتبقية بفعل الرياح المعاكسة الى سواحل الهند. ومن هناك اتخذ سيدى على ريس الطريق الى القسطنطينية، وقد وصلها فى رجب ٩٦٤/ مارس ١٥٥٧.

لقد وصف سيدى على هذه الاحداث جميعها فى كتابة المعروف بـ مرآة الممالك، درسعادت، اقدام مطبعة سى، اسطنبول، ١٣١٣): الذى يعد من ابرز المصادر التركية لا عن عمليات الصراع العثمانى - البرتغالى فى الخليج العربى فى منتصف القرن السادس عشر فحسب، ولكن عن كل الجهود البحرية العثمانية فى المياه الشرقية.

لقد ترجم كتاب « مرآة الممالك » من قبل المستشرق الهنغارى فامبرى تحت عنوان: The Travels and Adventures Of the Turkish admiral Sidi Ali Reis In India, Afghanistan, Central Asia and Persia, during The Year 1553 — 56 (London 1899). ولكن من الملاحظ ان هذه الترجمة تتجاوز بعض التعبيرات، التى قد تكون غير مفهومة للمترجم، مما يجعل النص الانكليزى غير واضح فى بعض الاحيان.

استفاد الميرالاى اسماعيل سرهنك فى كتابه « حقائق الاخبار عن دول البحار » القاهرة، ١٣١٢هـ، من كتاب سيدى على « مرآة الممالك » فاشار بصورة ملخصة الى عمليات المواجهة البرتغالية - العثمانية فى الخليج العربى فى منتصف القرن السادس عشر (انظر ص ص ٥٤٧ - ٥٥٠).

ولا يقل كتاب « تحفة الكبار فى اسفار البحار » استنبول، مطبعة بحرية، ١٣٢٩، لمصطفى بن عبدالله حاجى خليفة، المعروف بكاتب جلبى (ت ١٠٦٧هـ /١٦٥٦م) اهمية عن كتاب سيدى على، ذلك لانه يلقى الضوء على النشاط العثمانى البحرى فى البحر المتوسط والبحر الاحمر والمحيط الهندى والخليج العربى ابان القرن السادس عشر: مما يجعلهما افضل مصدرين واكثرهما تفصيلا لمن اراد الكتابة عن تاريخ الخليج البحرى فى القرن المذكور.

اما المصادر العربية، بخاصة العمانية، فقد كان من المتوقع ان تمدنا بمعلومات وافية عن اوضاع الخليج العربى فى القرنين السادس عشر والسابع عشر بصورة لا تقل أهمية عن المعلومات التى زودتنا بها المصادر البرتغالية المعاصرة الا انها للاسف الشديد جاءت مخيبة لآمال الباحثين. ذلك لأن المصادر العمانية قد تجاهلت، وبشكل يكاد يكون تاما، احداث الغزو

البرتغالى للخليج العربى التى بدأت بظهور البرتغاليين فى مياه الخليج عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م وحتى مجىء الامام ناصر بن مرشد اليعربى عام ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م. ويبدو ان سبب سكوت المؤلفين العمانيين عن هذا الحدث - كما يقول سليمان محمد الغنام. (٤) - يعود الى العوامل التالية:

١ - ان اهل عمان، كما يشير السالمى (٥) لا يعتنون بتدوين الاحداث التاريخة لذاتها وانما تأتى عرضا فى سير الائمة ومناقشة القضايا الدينية كالاحكام وغيرها.

٢ - ان المؤلفين العمانيين شعروا ان الاحتلال البرتغالى لموانئهم، وما يعنيه من سيطرة ليس فيه ما يشرف فأعرضوا عن تدوينه عمدا، فى حين انهم سجلوا بشىء من الحماس وعلى الاخص المراحل الاخيرة لطرد البرتغاليين من عمان. (٦).

والملفت للنظر انه لم ترد اى اشارة فى المصادر العمانية الى البرتغاليين واحتلالهم لموانىء عمان، او اسهام امام عمان محمد بن اسماعيل فى المقاومة التى أبداها سكان هذه البلاد ضد الاحتلال البرتغالى، سواء عند بدء هذا الاحتلال او الثورات التي حدثت فى كل من مسقط وقريات وصحار وقلهات عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م، بينما اوردت المصادر الاجنبية ذلك - (٧)

أحجمت المصادر العمانية، كما اشرنا، عن ذكر احداث الغزو البرتغالى لسواحل عمان حتى مجىء الامام ناصر بن مرشد عام ١٦٢٤، وبدء الصراع معهم حتى اخراجهم النهائى من مسقط عام ١٦٥٠، ماعدا بعض الاشارات التى وردت عرضا، من ذلك وصف البرتغاليين « بالجبابرة » لان « خراج » عمان قد اصبح تحت سيطرتهم. (٨) واشارة ثانية الى احتلال البرتغاليين صحار سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م (٩).

توفرت الكثير من المعلومات بعد مجىء الامام ناصر بن مرشد، ودخوله فى حروب متواصلة مع البرتغاليين، ولكن هذه المعلومات على وفرتها النسبية، نجدها في مصدر يكاد يكون واحدا، هو كتاب « سيرة الامام ناصر بن مرشد »، لمؤلفه عبدالله بن خلفان بن قيصر (١٠)، الذى كان معاصرا للامام ناصر بن مرشد اليعربى، فأرخ له وكتب سيرته.

استقصت المصادر التى تلت ابن قيصر معلوماتها عنه فيما يتعلق بالعقدين الاولين من عهد الامام ناصر، يقول السالمى (١١) فى ذلك: « وانما كتبنا فى سيرة هذا الامام مالم نكتبه فى سيرة من قبله لأن بعض اصحابه (اى ابن قيصر) قد ارخوا بعض سيرته ولم يؤرخ من مضى الا ما وجدناه فى القضايا التى يحتاج الى البحث عنها فى الاحكام ».

وواضح من مقارنة كتاب « كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة »، لسرحان بن سعيد الازكوى، ان هذا الكتاب قد

اعتمد الى حد كبير على كتاب ابن قيصر، بيد ان الازكوى قد عدل من روايات ابن قيصر المسجوعة واضاف اليها وحذف منها، ولكنه لم يشر الى مصدرها [١٢].

ومع هذا فان كتاب « كشف الغمة » [١٣] الذى استمر بحوادثه حتى عام ١٧٢٨، يعد مصدرنا الوحيد فيما يخص استعادة مسقط من البرتغاليين وطردهم منها على يد الامام سلطان بن سيف عام ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩ ـ ٥٠م. [١٤].

وهناك كتاب « قصص واخبار جرت فى عمان » [١٥]، الذى ينسب لابى سليمان بن محمد بن عامر بن راشد المعولى (ت بعد سنة ١٧٨٣ م). ومقارنة بين هذا الكتاب وبين كشف الغمة يظهر مدى اعتماده على الاخير لدرجة انه ينقل حرفيا عنه، غير ان هناك بعض المعلومات فى كتاب المعولى غير موجودة فى كشف الغمة. وعلى اية حال، فالكتاب مفيد عن حروب الامام ناصر بن مرشد مع البرتغاليين حتى تحرير مسقط عام ١٦٥٠ م.

ويمدنا كتاب « الفتح المبين لسيرة السادة البوسعيديين » [١٦] لمؤلفه حميد بن محمد بن رزيق، وكتاب « تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان »، لمؤلفه نور الدين عبدالله بن حميد السالمى، بمعلومات مماثلة للمصادر العمانية الاخرى، وذلك عن علاقة الامام ناصر بالبرتغاليين. كما يشترك هذان المؤلفان مع المصادر العمانية المحلية الاخرى فى كونهما لا يعدان مصدرا رئيسيا بالنسبة لنشاطات البرتغاليين المبكرة فى الخليج وغزوهم له منذ بداية القرن السادس عشر الميلادى.

وما دمنا بصدد الحديث عن المصادر العربية لا بد من الاشارة الى المصادر العربية الاخرى غير العمانية واهمية معلوماتها عن الموضوع الذى تناوله بالبحث.

يعد كتاب « تحفة المجاهدين فى بعض احوال البرتكاليين » لزين الدين المليبارى المعبرى (المتوفى فى القرن ١٠هـ/ ١٦م)، تحقيق دى لوبز Lopes (لشبونه، ١٨٩٨)، من أهم المصادر العربية واقدمها من حيث تناوله لامتداد النفوذ البرتغالى فى المحيط الهندى، وتوضيحه للاهداف الصليبية والاقتصادية التى دفعت بالبرتغاليين لاجتياز راس الرجاء الصالح. ومع ان كتاب زين العابدين هذا يمتاز بدقة الملاحظة والتحليل، الا انه لم يترك لنا الا اشارات قليلة عن الخليج العربى وجنوب شبه الجزيرة العربية.

اما كتاب « البرق اليمانى فى الفتح العثمانى »، لقطب الدين النهروالى المتوفى فى اواخر العقد الثامن من القرن السادس عشر، فيزودنا بمعلومات هامة عن مجىء البرتغاليين الى الشرق، وتحركاتهم فى البحر الاحمر، غير انه لا يتطرق الى احداث

الخليج العربى بشىء.
وتجدر الاشارة هنا الى ان المصادر اليمنية، ورغم انها كتبت فى نفس الفترة التى ازداد فيها النفوذ البرتغالى فى الشرق، الا انها لا تمدنا بمعلومات هامة عن منطقة الخليج العربى. يستثنى من ذلك « الحوليات الحضرمية » التى ترجمها سيرجنت R. B. Serjent فى كتابه المشهور بـ « البرتغاليون فى الساحل العربى الجنوبى ـ The Portuguese of The South Arabian Coast, (Beirut, 1974).

وقد تناولت هذه الحوليات بالذكر وصول البرتغاليين الى هرمز وسيطرتهم عليها، واتخاذها قاعدة لنفوذهم فى المنطقة (ص ص ٤٣ ـ ٤٤). كما تطرقت الى النشاطات العثمانية ضد البرتغاليين فى الخليج العربى فى منتصف القرن السادس عشر (ص ص ١٠٩ ـ ١١٠).

ويبدو ان سيرجنت لم يكن على علم بنص يمنى لا يقل اهمية عن تلك النصوص التى نشرها فى كتابه المشار اليه، بخاصة وانه يتناول الفترة التى صاحبت ضعف السيطرة البرتغالية وقيام الانكليز والفرنسيين بدورهم. وهذا النص الذى سنعرض له فيما يلى هو مخطوط لمؤرخ يمنى هو عبدالله بن على بن محمد بن عبدالله بن احمد الوزير الذى توفى سنة ١١٤٧ او ١١٤٨هـ/ ١٧٣٤ ـ ٣٥ م ، بعنوان: طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى ». لقد نشر الاستاذ عبدالله محمد الحبشى نصوصا من هذا المخطوط باسم «البرتغاليون على ساحل البحر الاحمر: نصوص لم تنشر عن مخطوطة يمنية »، فى (مجلة العرب)، ج أو ٢، السنة التاسعة آب وايلول (١٩٧٤) ص ص ١٨ ـ ٣٧، على ان النصوص التى نشرت من هذا المخطوط تكاد تكون ملحقا لكتاب سيرجنت، بخاصة وان المؤرخ اليمنى قد رصد اخبار البرتغاليين وتحركاتهم حول ساحل البحر الاحمر والخليج العربى فى القرن السابع عشر.

ومما يذكر ان الاستاذ الحبشى اشار (حاشية، ص ١٨) فى النصوص التى نشرها فى (مجلة العرب، عام ١٩٧٤ بانه عرض على الاستاذ سيرجنت ما نقله من مخطوطة « طبق الحلوى » فذكر له بأنه لم يرجع اليها فى كتابه المشار اليه ولم يكن له علم بها ». ويظهر ان الباحث الانكليزى المعروف قد انتبه الى اهمية هذه المخطوطة فاعتمدها اساسا فى كتابة بحثه الموسوم « النشاط الملاحى العمانى على الساحل العربى الجنوبى » الذى قدمه لندوة الدراسات العمانية عام ١٩٨٠، ونشر فى حصاد ندوة الدراسات العمانية (١٩٨١) ج ٨ (ص ص ١١٣ ـ ١٣٧).

وعلى اية حال، فان البحث يعد ذا فائدة كبيرة عن النشاطات العمانية

البحرية ضد البرتغاليين في القرن السابع عشر.

المراجع والبحوث الاجنبية.

عندما وصل البرتغاليون الى الشرق الاوسط وسيطروا على اماكن كثيرة فيه اصبح توسعهم مطمح انظار الاوروبيين الذين ارادوا ان يعرفوا سر توسع دولة البرتغال الصغيرة والسياسة التى اتبعتها في البحار الشرقية، فراحوا ينقلون كثيرا من المدونات البرتغالية كالوثائق وكتب المذكرات والرحلات. ولعل من ابرز هذه الكتب المنقولة كتاب فريا سوسا Sousa الذى ترجم من البرتغالية الى الانكليزية ونشر في اواخر القرن السابع عشر، كذلك ترجمت « تعليقات » البوكيرك و« رحلة تكسيرا » وما الى ذلك. وقد اصبحت هذه الكتب المترجمة الاساس الذى بنيت عليه معلومات كثير من المؤلفات التى صدرت عن الشرق عامة والخليج العربى خاصة، منذ القرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر. نخص بالذكر كتابا يحمل عنوان « تاريخ الاكتشافات والغزوات والمؤسسات التى اقامها البرتغاليون في جزر الهند الشرقية: The History of the Discoveries, Conquests and Establishments made by the Portuguese in the East Indies''، والذى نشر غفلا وبدون تاريخ تحت عنوان « التاريخ الحديث استمرارية للتاريخ العام: Modern History : Being a Continuation of The Universal History, Book XIII.

ويعد هذا الكتاب من المصادر المهمة ذلك لأنه يحتوى على معلومات مفصلة لا نجدها في مؤلف اخر عن تاريخ الغزو البرتغالى للخليج، ومراحل هذا الغزو خلال السادس عشر والسابع عشر. وتأتى اهمية هذا الكتاب لكونه اعتمد بالدرجة الاولى على المصادر الاصلية المؤلفة باللغة البرتغالية واللغات الاوروبية الاخرى.

اما كتاب فردريك شارل دانفرز FrederickCharles Danvers, The Portuguese in India, 2 Vols (London, 1894)، فانه يعد مكملا للكتاب المذكور اعلاه. لأنه لم يقتصر على احداث الغزو البرتغالى للخليج والسيطرة عليه خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وانما تابع المؤلف تاريخ البرتغاليين حتى القرن الثامن عشر.

وقد صدر في القرن العشرين عدد من المؤلفات الاوروبية التى نالت شهرة كبيرة لدى الباحثين في تاريخ الخليج الحديث، وهذه المؤلفات هى كتاب صموئيل مايلز المعنون: The Countries and Tribes of The Gulf, London, 1919)، الذى ترجمه السيد محمد امين عبدالله باسم « الخليج بلدانه وقبائله »، وصدرت طبعته الثالثة عام ١٩٨٦؟ وكتاب جى. جى لوريمر، « The Gazetteer of The Gulf, Calcutta, 1908 »، الذي ترجم الى

العربية من قبل مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر لقسميه التاريخى والجغرافى بعنوان « دليل الخليج ». وهناك كتاب ارنولد ويلسون« The Gulf » « London, 1928 »، الذى ترجم من قبل الدكتور عبدالقادر يوسف، ونشر فى الكويت د. ت، وصدرت له ترجمة ثانية عام ١٩٨١ من قبل السيد محمد امين عبدالله.

يعد كتاب مايلز من اوائل المؤلفات الاوروبية التى صدرت فى القرن العشرين التى تناولت احداث الغزو البرتغالى للخليج اعتمادا على المصادر البرتغالية الاساسية، فضلا عن ابرازها لدور المقاومة العربية للبرتغاليين، غير ان هناك على اية حال كتاب « دليل الخليج » للوريمر، الذى وضعه المؤلف بتكليف رسمى من قبل حكومة الهند البريطانية فى مجلدين احدهما تاريخى والاخر جغرافى وذلك فى عام ١٩٠٨، ثم اعيد طبعه عام ١٩١٥، و١٩٧٠. وقد ظل هذا الكتاب مقصورا على الرسميين البريطانيين لعدة اعوام، ولم يتح للجمهور الاطلاع عليه الا فى الخمسينات من هذا القرن. ويعد هذا الكتاب اوسع نطاقا من كتاب مايلز ذلك لأنه تناول احداث الخليج من اوائل القرن السادس عشر حتى السنوات الاولى من القرن العشرين. ومن حيث علاقته باحداث الغزو البرتغالى للمنطقة فقد جاء معتمدا بصورة رئيسية على وثائق شركة الهند الشرقية الانكليزية، والمؤلفات الرسمية الاخرى للشركة (١٧).

اما كتاب ويلسون فقد كان واحدا من ابرز المصادر الهامة عن الخليج ذلك لأن مؤلفه افرد ثلاثة فصول مستقلة عن وصول البرتغاليين الى الخليج، والصراع بينهم وبين الانكليز، وطرد البرتغاليين من الخليج. ومما يزيد فى قيمة الكتاب انه احتوى على قائمة فريدة من المصادر الوثيقة الصلة بالخليج واوضاعه، بيد ان هذا الكتاب قد خلا من قائمة المصادر تلك بترجمته العربية.

والى جانب تلك المؤلفات الرئيسية عن الخليج هناك كتاب ستر بلنك G. W. F. Stripling، المعروف بـ « الاتراك العثمانيون والعرب ١٥١١ - ١٥٧٤ » The Ottoman Turks and The Arabs 1511 — 1574, The University of Illinois Press, Urbana, Illinois, 1942— ومع ان هذا الكتاب قد صدر فى الاربعينات (١٨) الا ان بعض معلوماته عن المراحل الاولى للغزو البرتغالى للخليج ما زالت مفيدة جدا، كما ان مصادره عن الموضوع ذات قيمة كبيرة للباحثين .

وقد وضع عدد من المؤلفات الحديثة عن البرتغاليين وتوسعهم في الشرق وقد تناولت هذه المؤلفات تاريخ الخليج ايضا، ومن بينها كتاب سى. أر. بوكسر Boxer الموسوم « امبراطورية البرتغال البحرية ١٥١٤ - ١٨٢٥، لندن ١٩٦٩ The

Portuguese Sea-borne Empire 1415 — 1825 (London, 1969). وللمؤلف نفسه فصل بعنوان « التنافس الانكليزى - البرتغالى فى الخليج ١٦١٥ - ١٦٣٥ »، فى مؤلف جي. بريستدج المعنون: « فصول فى العلاقات الانكليزية البرتغالية »، واتفورد، ١٩٣٥ « Chapter in Anglo — Portuguese relations in the Gulf 1615 — 35 (ed) by G. Prestage (Watford, 1935), pp. 46 — 130.

وهناك كتاب ار. اس. وايت وى R. S. White Way المعنون « ظهور القوة البرتغالية فى الهند ١٤٩٧ - ١٥٥٠ » The Rise of Portuguese Power in India," 1497 — 1550, London, 1967, الذى تناول فيه المؤلف احداث الغزو البرتغالى المبكرة للمياه الشرقية بصورة عامة ومياه الخليج العربى بصورة خاصة.

وهنا من الضرورى ان نتذكر كتاب سونيا. ى. هاو، المعنون « فى طلب التوابل » ترجمة محمد عزيز رفعت (مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧) باعتباره من المصادر القديمة التى ركزت على التوابل باعتبارها الدافع الاساسى لتوسع البرتغاليين والامم الاوروبية الاخرى من بعدهم. بيد ان كتاب نايلز سترينز كورد Niles Streens gaard الموسوم: « carracks, Cavvans and Companies (Denmane, 1973 »، يعد قفزة نوعية فى الدراسات التاريخية الاقتصادية، ذلك لان مؤلفة تابع ولمدة طويلة دراسة النشاطات الاقتصادية البرتغالية والاوروبية الاخرى فى الخليج ودوافعها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر.

وقد يكون من المفيد ان نشير هنا الى عدد من البحوث والدراسات التى تناولت الغزو والسيطرة البرتغالية لانها تحفل بمادة تاريخية كبيرة عنها، قلما تتوفر فى المصادر العربية. من ذلك دراسة ستيف « Arthar W. Stiffe المعروفة بـ Ancient Trade Centres of Gulf »,The Geographical Journal,Vol. X (1897), التى احتوت على معلومات قيمة عن الوسائل التى احتل فيها البرتغاليون الساحل العمانى (انظر ص ص ٦١٥ - ٦١٧).

وثمة دراستان عالجتا بشكل خاص التوسع البرتغالى فى الخليج العربى والمحيط الهندى خلال القرن السادس عشر، لمؤلفهما بالارد G. A. Ballard الاولى بعنوان: The War of: The Arabian Sea, **Mariners Mirror** (tan. 1925)، والثانية باسم: The Century of Portuguese Supermacy in the Indian ocean",Mariner's Mirror, Oct. 1925.

وهناك بحثان يدخلان فى عداد الدراسات الخاصة التى تعالج نشوء القوة البحرية العثمانية وتطورها فى مواجهة القوة البحرية البرتغالية فى المحيط الهندى والخليج العربى، اولهما مقالة هس Andrew C. Hess

الموسومة: « نشوء القوة البحرية العثمانية فى عصر الاستكشافات المحيطية ١٤٥٣ ـ ١٥٢٥ » « The Evolution of The Ottoman Sea-borne Empire in The Age of The Oceanic Discoveries, 1453 ' 1525 », The American Historical Review Vol. LXXXV (dec. 1970), PP. 1892 — 1919. وثانيهما بحث ديمز M. Longworth Dames الموسوم: « البرتغاليون والاتراك فى المحيط الهندى فى القرن السادس عشر » « The Portuguese and Turks in the Indian Ocean in The Sixteenth Century », **Journal of the Royal Asiatic Society,** Pt. I (April, 1921).

على ان البحث الثانى يمتاز بتركيزه الشديد على عمليات المواجهة البحرية البرتغالية ـ العثمانية فى المياه الشرقية بشكل عام ومياه الخليج العربى بشكل خاص، وذلك اعتمادا على المصادر العثمانية الرئيسية.

على ان هناك بعض البحوث التى عالجت السيطرة البرتغالية على بعض مناطق الخليج العربى، وتابعت مراحل هذه السيطرة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، نذكر منها على سبيل المثال بحث بلكريف J. H. D. Belgrave المعنون « البرتغاليون فى جزر البحرين ١٥٢١ ـ ١٦٠٢ » ـ The Portuguese in the Bahrain Islands, 1521 — 1602, Journal of the Royal Central Asian Society, Vol. XXII (1935), PP — 617 — 30.

وقد عالج الباحث نونو. دي. سلفا الموضوع نفسه فى بحثه الذى ترجم عن الانكليزية الى العربية بعنوان « ملاحظات حول تاريخ البحرين فى العصر البرتغالى ١٥٢١ ـ ١٦٠٢ »، ونشر فى مجلة **الوثيقة** البحرينية العدد الثامن السنة الخامسة (يناير، ١٩٨٦) ص ص ١٢٤ ـ ١٣٠. ولكن الملاحظ ان الباحث استعرض احداث الغزو البرتغالى للبحرين بصورة وصفية موجزة دون تحليل للاحداث.

اما ابرز البحوث والرسائل التى عالجت علاقة البرتغاليين بعمان فهناك بحث الدكتور بارثيست R. D. Barthust المعروف بـ « التجارة البحرية وحكومة الامامة. Maritime Trade and Imamate. Government: Two Principal Themes in The history of Oman to 1728 in: The Arabian Peninsula, (ed) by Derek Hopwood (London, 1972), PP. 89 — 106.

على ان الباحث قد تناول هذا الموضوع بشكل مفصل فى رسالته التى قدمها لنيل درجة الدكتوراة من جامعة اكسفورد عام ١٩٦٧ الموسومة «اسرة اليعاربة فى عمان »: The Ya'rubi Dynasty of Oman", Linacre College, Oxford University, (March, 1967). فقد افرد الفصل الثالث لدراسة موضوع « طرد البرتغاليين

من الخليج »، فى حين خصص الفصل الرابع لدراسة « مطاردة البرتغاليين فيما وراء البحار »، وكان جل اعتماده على الوثائق الانكليزية غير المنشورة.

والى جانب تلك البحوث لا بد من الاشارة الى بحث مانديفل J. E. Mandaville الموسوم: ولاية الاحساء العثمانية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر « The Ottoman Province of al — Hasa in The 16 and 17th Centuries, Journal of the American Oriental Society 90 (1970), PP. 486 — 513, الذى ذكر فيه كثيرا من المعلومات عن العلاقات العثمانية ـ البرتغالية فى الخليج العربى خلال القرن السادس عشر اعتمادا على الوثائق العثمانية غير المنشورة، وهذه المعلومات تعين الباحثين على معرفة طبيعة النشاطات العثمانية فى المنطقة انذاك.

المراجع والبحوث العربية.

مما لا شك فيه ان غزو البرتغاليين لمناطق الوطن العربى فى القرن السادس عشر كان بداية المرحلة الاستعمارية الطويلة التى عانى منها وطننا العربى فى القرون التالية، وهى عند كثير من الباحثين المنطلق الحقيقى لتاريخ العرب الحديث. ومما يدلل على اهمية هذه الفترة وبعدها التاريخى كثرة النصوص التاريخية التى كتبها الاوروبيون عنها.

ولكن للاسف الشديد فان معلوماتنا عن هذه الفترة ظلت حتى العقود الاخيرة من القرن العشرين معتمدة بالدرجة الاولى على كتب الاوروبيين الذين وفدوا الى الخليج العربى بصورة او باخرى، وكتبوا عنه كتابات عدة سبقت الاشارة اليها مثل كتاب « الخليج العربى.. » لأرنولد ويلسون، وكتاب « الخليج بلدانه وقبائله »، لمايلز، وكتاب « دليل الخليج » للوريمر، وما الى ذلك.

وقد وضح اهتمام الباحثين العرب بمنطقة الخليج العربى فى العقود الاخيرة، بيد ان معظم دراساتهم انصبت على القرنين التاسع عشر والعشرين، اما القرنان السادس عشر والسابع عشر فقد كان نصيبهما محدودا حتى صدر كتاب الدكتور بدر الدين عباس الخصوصى الموسوم: « دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر، الجزء الاول، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٧٨ » الذى عالج الفترة من القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن السابع عشر، ولكن هذا الكتاب اعتمد فى سرده لاحداث الغزو البرتغالى على مراجع ثانوية معروفة ولم يعتمد على المصادر البرتغالية والاوروبية الاصيلة. ومع ذلك فان الكتاب يلقى اضواء جديدة على موضوعات جديدة مثل دراسة القوى العربية التى نشأت فى الخليج العربى خلال القرنين الثامن

عشر والتاسع عشر وظروف تطورها.

وهناك كتاب الاستاذ مصطفى عقيل الخطيب « التنافس الدولى فى الخليج العربى ١٦٢٢ ـ ١٧٦٣ »، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨١. وهذا الكتاب فى الاصل هو رسالة ماجستير، لذلك فقد اعتمد فيه الباحث على مجموعة جيدة من الكتب والوثائق التى لها صلة بتاريخ الخليج خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، تعد البداية للدارسين عن تاريخ هذه المنطقة.

ومن المؤلفات التى صدرت عن البرتغاليين فى الخليج كتاب نوال حمزة يوسف الصيرفى « النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى »، الرياض، ١٩٨٣، الذى نالت فيه المؤلفة درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز. وواضح ان المؤلفة ركزت بصورة اساسية على الدافع الدينى كاساس لحركة الاستكشافات الجغرافية، ورد الفعل العثمانى الدينى تجاهه. ومع ان الباحثة قد جهدت فى بيان روح المقاومة التى اظهرها اهل الخليج ضد تلك الهجمة البرتغالية الصليبية بقدر ما وسعهم الجهد، بيد ان معظم اعتمادها جاء منصبا على مراجع ثانوية ولم يعتمد الا قليلا على المصادر الاساسية التى تناولت احداث الغزو البرتغالى للخليج ومراحله.

يعد كتاب الدكتور جمال زكريا قاسم « الخليج العربى: دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الاول ١٥٠٧ ـ ١٨٤٠ » دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٥، واحدا من ابرز المؤلفات التى لها علاقة وثيقة بتاريخ الغزو البرتغالى فى الخليج، ذلك لان المؤلف قد خصص فصلين رئيسيين عن هذا الجانب وتابع افول الامبراطورية البرتغالية فى الشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر. وقد اعتمد الباحث على عدد غير قليل من المصادر البرتغالية الرئيسية وكتب المذكرات التى وثقت الكتاب.

ومن المؤلفات التى تطرقت بصورة مفصلة الى عرب عمان وعلاقتهم بالبرتغاليين كتاب « دولة اليعاربة فى عمان وشرق افريقيا للفترة من ١٦٢٤ ـ ١٧٤١ »، لمؤلفته عائشة على السيار، (دار القدس)، بيروت، ١٩٧٥). وفيه تابعت المؤلفة نمو قوة دولة اليعاربة وقيامها بمطاردة البرتغاليين ليس فقط فى الخليج العربى وانما فى المياه الشرقية بصورة عامة.

والى جانب الكتب المذكورة هناك الكثير من البحوث المنشورة التى تناولت البرتغاليين فى الخليج من جوانب مختلفة، اولها بحث الاستاذ عبدالعزيز محمد الشناوى « المراحل الاولى للوجود البرتغالى فى شرق الجزيرة العربية »، الذى نشره ضمن البحوث المقدمة الى مؤتمر دراسات

تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة، قطر، الجزء الثانى، ١٩٧٦. ويمتاز هذا البحث انه يتناول تاريخ مجيء البرتغاليين الى الشرق منذ اواخر القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن السادس عشر، ولكن الملاحظ انه جاء بحثا استعراضيا عاما اكثر منه تحليليا خاصا.

وهناك بحث للدكتور عبدالعزيز محمد عوض باسم « الاحتلال البرتغالى لموانيء الجزيرة العربية »، **المؤرخ العربى**، العدد ٢٩، السنة الثانية عشرة (١٩٨٦) ص ص ١٧ ـ ٢٦، الذى عالج فيه الباحث وقائع الغزو البرتغالى لموانيء الخليج العربى فى النصف الاول من القرن السادس عشر، وعملية الصراع العثمانى ـ البرتغالى فى المنطقة، معتمدا فى ذلك على عدد من الدراسات وثيقة الصلة بالموضوع.

ومن البحوث التى تلقى مزيدا من الضوء على حالة الصراع العثمانى ـ البرتغالى بحث الدكتور عبدالوهاب القيسى المعنون « موقف العثمانيين من الغزو البرتغالى للمياه العربية »، مجلة الخليج العربي (البصرة) ، المجلد ١٢، العدد ١ (١٩٨٠) ص ص ٤٥ ـ ٥٣. وفيه تناول الباحث اسباب المجابهة العثمانية ـ البرتغالية، والاحداث الرئيسية فى هذه المجابهة ونتائجها.

على ان فلسفة الصراع العثمانى ـ البرتغالى فى الخليج العربى خلال القرن السادس عشر قد تطرق اليها الدكتور طارق نافع الحمدانى فى بحثه الموسوم « النزاع العثمانى ـ البرتغالى: رؤية جديدة ». المنشور فى « دراسات عن تاريخ الخليج والجزيرة العربية »، منشورات مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة (١٩٨٥) ص ص ١٨٥ ـ ١٩٨. وتقوم فكرة البحث الرئيسية على اعتبار أن عملية الصراع بين البرتغاليين والعثمانيين قد اتخذت مراحل مختلفة دينية وسياسية واقتصادية. ومع صعوبة الفصل بين كل مرحلة من هذه المراحل لتداخلها وامتزاجها مع احداث المرحلة الاخرى، الا انه من الممكن القول ان المرحلة الاولى فى النزاع العثمانى ـ البرتغالى اتخذت الصبغة الدينية على اعتبار ان البرتغاليين انتحلوا هذه الظاهرة لدعم اهدافهم التوسعية من قبل الكنيسة من جهة ولتبريرها فى الشرق من ناحية اخرى، واتخذ العثمانيون الصفة الدينية نفسها فى الرد على اهداف البرتغاليين وكسب شعور المسلمين من ناحية والدفاع عن الاماكن المقدسة والاماكن المحيطة بها من ناحية اخرى.

وبمضى الوقت اتخذ النزاع اشكالا سياسية واقتصادية على اعتبار ان البرتغاليين ارادوا ان يوجدوا لهم قواعد يستقرون فيها ويثبتون نفوذهم فى الشرق، ومن ثم عمدوا الى تحقيق منافع اقتصادية عن طريق ذلك، وكان

الرد العثمانى على ذلك منسجما مع الاهداف العثمانية.

وهناك عدد من البحوث التى تناولت عمليات الغزو البرتغالى لمناطق معينة فى الخليج العربى منها بحث الاستاذ احمد العنانى الموسوم « البرتغاليون فى الخليج وما حولها

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر »، مجلة **الوثيقة**، العدد الرابع، السنة الثانية (يناير، ١٩٨٤). وفيه تابع الباحث المطامع البرتغالية فى المنطقة حتى طردهم من الخليج فى

منتصف القرن السابع عشر. وعلى غرار هذا البحث نشرت مجلة **الوثيقة** ايضا فى عددها الاول، السنة الاولى

(يوليو ، ١٩٨٢) بحثا تحت عنوان «صفحات من تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين» ، تناول البحث عمليات الغزو البرتغالي للمنطقة ، وتضمن نشر عدد من الوثائق التركية المتعلقة بأوضاع البحرين (أنظر ص ص ١٤٧ ـ ١٤٩) .

ومن البحوث التى عالجت عملة مقاومة البرتغاليين فى الخليج وطردهم منه بحث الدكتور صالح محمد العابد الموسوم « تحرير ساحل عمان وانهيار الامبراطورية البرتغالية فى الشرق، مجلة **افاق عربية**، العدد الثالث، السنة العاشرة (١٩٨٥).

وهناك بحث اخر للدكتور صلاح العقاد بعنوان « دور العرب والفرس فى مكافحة الاستعمار فى الخليج » دراسة مقارنة »، حصاد ندوة الدراسات العمانية، المجلد الرابع (١٩٨٠). وهذا البحث الاخير كما يقول الباحث نفسه « يستهدف توضيح الفرق بين الاسلوب الذى اتبعه العرب عامة، والعمانيون بصفة خاصة حينما كافحوا البرتغاليين بصورة منفردة، فى حين ان الفرس رغم قيام دولة قوية فى بلادهم كانت اوسع انتشارا من الدولة العمانية الا انهم تصدوا للبرتغاليين مستندين الى محالفات اجنبية ». (انظر ص ٥٩).





١ ـ بروفسور سى. بكنهجام، بعض الملاحظات عن البرتغاليين فى عمان، حصاد الندوة العمانية، سلطنة عمان، مطابع سجل العرب (١٩٨١) ص ١٨٥.

٢ ـ بكنجهام، المصدر نفسه، ص ١٨٧.

٣ ـ بروفسور سى. بوكسر، ملاحظات جديدة عن الصلات بين العمانيين والبرتغاليين من ١٦١٣ ـ ١٦٣٢، حصاد الندوة العمانية، المجلد الثانى (مطابع سجل العرب، ١٩٨٠) ص ٢١٠.

٤ ـ « الوجود البرتغالى فى عمان فى المصادر المحلية العمانية »، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية،(مطبعة جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩)ج ٢ ص ١١٦.

٥ ـ نور الدين عبدالله بن حميد السالمى، تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان (١٣٩٤ / ١٩٧٤)ج ١ ص ٣٥٣.

٦ ـ س .ب. مايلز، الخليج العربى بلدانه وقبائله، ترجمة محمد امين عبدالله (أمون للطباعة، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٦) ص ١٤٩.

٧ ـ Frederick Charles Danvers, The Portuguese in India (London, 1894), Vol. I, P. 354. الغنام، المصدر السابقة، ص ١١٧.

٨ ـ سرحان بن سعيد الأزكوى، تاريخ عمان « المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامة »، حققه عبدالمجيد حسيب القيسى (مطابع سجل العرب، ١٩٨٠) ص ٧٧.

٩ ـ الأزكوى، المصدر نفسه، ص ٩٢.

١٠ ـ حقق هذا الكتاب عبدالمجيد حسيب القيسى، ونشرته وزارة التراث والثقافة لسلطنة عمان، ١٩٧٧.

١١ ـ تحفة الاعيان، ص ٢٠.

١٢ ـ انظر الدكتور فاروق عمر، مقدمة فى دراسة مصادر التاريخ العمانى (بغداد، ١٩٧٩) ص ١٠٢.

١٣ ـ من المعروف ان المستر روس الذى كان معتمدا بريطانيا فى مسقط قد نشر ترجمة لهذا الكتاب فى مجلة الجمعية الاسيوية فى البنغال عام ١٨٧٤ تحت عنوان «حوليات عمان » E. C. Ross, Annals of Oman by Sirhan Bin Said.

From Old days until 1728, The Journal of the Asiatic Society of Bengal, Vol. XLIII, Pt. I (1874).

١٤- الأزكوى، المصدر السابق، ص ١١١.

١٥- نشرت وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان هذا الكتاب عام ١٩٨٣ .

١٦- لقد نشر جورج برسى بادجر George Percy Badger، وهو احد الباحثين الثقاة فى تاريخ عمان، هذا الكتاب الذى تناول تاريخ الائمة والسادة البوسعيديين حتى عهد سعيد بن سلطان (١٨٠٦ - ١٨٥٦). وقد اضاف مقدمة تاريخية تحليلة امتد بها الى عام ١٨٧١ تحت عنوان: « History of the Imams and Seyyids of Oman », by Salil Ibn Razik.

١٧- يمكن الاطلاع على المصادر العديدة التى اعتمدها المؤلف فى كتابة دليل الخليج، القسم التاريخى، ج ١ ص ص ٢٠ - ٢١.

١٨ - لقد صدرت طبعة جديدة للكتاب عام ١٩٧٨.